

## جدلية الصحراء والصمود، تأملات فكرية في ثورة قبيلة التوارق الجزائرية 1881-1920م

The dialectic of the desert and steadfastness, Intellectual reflections on  
the revolution of the Algerian Touareg tribe 1881-1920 AD

محمد رضا مغربي

المركز الجامعي علي كافي تندوف (الجزائر)، reda7490@gmail.com

تاريخ النشر: 2024-05-05

تاريخ القبول: 2024-02-27

تاريخ الاستلام: 2024-01-21

ملخص:

تحاول هذه الدراسة الاقتراب من كنه قبيلة التوارق، والمقاومة الشعبية التي قادتها في صحراء الأهقار بداية من سنة 1881م ثم الإشارة إلى تمكّن هذه القبيلة من تحدّي الصحراء العارية الكاشفة: الساكنة المخبرة، وأن تصمد في وجه جحافل جيوش نابليون التي دانت لها رقاب ملوك العالم آنذاك، بل وتكبّدها خسائر في أعزّ قادتها العسكرية. واستعنت في دراستي المقتضبة بمنهج وصفي لعرض المادة العلمية، ثم ثنيت بمنهج جدلي للإجابة عن التساؤل الرئيسي المطروح كإشكال للبحث والدراسة ألا وهو سرّ توفيق قبيلة التوارق بين الصمود والمقاومة في بيئة أحادية لا تقبل الثنائيات ألا وهي الصحراء الكبرى الذي اخترنا منها إقليم الأهقار كعينة للدراسة. الكلمات المفتاحية: الجزائر: الاستقلال: قبيلة التوارق: صحراء الأهقار: الاحتلال الفرنسي.

### Abstract:

This study tries to approach the essence of the Tuareg tribe, and the popular resistance that led it in the Ahgar desert starting in 1881 AD, and then indicate that this tribe was able to challenge the bare desert revealing, the informant population, and to withstand the hordes of Napoleon's armies, which condemned the necks of the kings of the world at the time, and even suffered losses in its dearest military leaders.

In my brief study, I used a descriptive approach to present the scientific material, and then I bent a dialectical approach to answer the main question posed as a problem for research and study, which is the secret of the reconciliation of the Touareg tribe between steadfastness and resistance in a unilateral environment that does not accept dualities, namely the Sahara Desert, from which we chose the Ahgar region as a sample for the study.

**Keywords:** Algeria, independence, Touareg tribe, Ahgar desert, French occupation.

## مقدمة:

العنصر البشري في الصحراء الجزائرية الشاسعة ظاهرة ربانية واجتماعية في آن واحد، فالواحد منا يعجب من انتشار القبائل في تلك المفاوز انتشارا عموديا \_عبر التاريخ\_ وآخر أفقيا \_عبر المكان\_ في الحقيقة هو انتشار يحكي قصة منحوتة في صخور ووحدات الصحاري بما خلّدتها تلك القبائل من مآثر ظلت موردا ينهل منه الإنسان الصحراوي انتماؤه ويبني من خلاله حاضره ويستشرف مستقبله.

ومن تلك القبائل الضاربة في جذور تاريخ الصحراء الكبرى قبيلة التوارق وخاصة التي تسكن إقليم أهقار الذي سيكون محل دراستنا في الفترة الممتدة بين 1881 إلى 1920 م

الموضوع المدروس ذو أهمية من أبعاد شتى لعل أبرزها:

- التعريف بالماضي الثوري لقبيلة التوارق منذ أواخر القرن التاسع عشر ضد التواجد الفرنسي على أرض الجزائر.
- البعد التوحيدي للأمة الجزائرية من خلال مقاومتها الشعبية في القرن التاسع عشر في ربوع الجزائر كلها (الساحل- التل- الصحراء).
- محاولة فك اللغز والجدل الذي أثاره عنوان الدراسة بين الصحراء والصمود (القيمة الفلسفية للموضوع).

دائما تكون أسباب الاختيار بين ما هو ذاتي وموضوعي، فأما السبب الذاتي فلعله يتعلق بارتباطي بكل ما هو جزائري واعتزازي بما خلّدتها قبيلة التوارق من بطولات أمام الجيوش الفرنسية الزاحفة على الصحراء الكبرى. أما السبب الموضوعي فأعوزه إلى افتقار المكتبة الجزائرية من الدراسات التي تعنى بتاريخ قبائل الطوارق الجزائرية خاصة في عهد الاحتلال الفرنسي.

للبحث إشكالية رئيسية تتمثل في سرّ الصمود الذي تمتعت به قبيلة التوارق في إقليم الأهقار اتجاه العدو الفرنسي المتفوق عليها عدّة وعتادا، وخبرة. فالصحراء التي تسكنها قبيلة التوارق مفازة مهلكة، فالعيش فيها وحده يعد صمودا وتضحية، أضف إليه عدوّا مدججا بأحدث الأسلحة ومستعينا بخبرات علمية متعددة لغزو الصحراء مهما كلفه الثمن.

تندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية إشكالات عدة لعل أبرزها:

- قبيلة التوارق الجزائرية في إقليم الأهقار.
- الحملات الفرنسية على قبيلة التوارق في إقليم الأهقار.
- القيم الفلسفية في سرّ صمود قبيلة التوارق الصحراوية الجزائرية أمام الآلة العسكرية الفرنسية 1920-1881

المنهج المتبع في هذه الدراسة المقتضبة مزيج بين الوصف الاستقصائي للمادة التاريخية التي حفظت لنا مجريات تلك الأحداث مكانيا وزمانيا، ثم اعتماد المنهج الجدلي للإجابة عن التساؤل الرئيسي المطروح كإشكال للبحث والدراسة ألا وهو سرّ توفيق قبيلة التوارق بين الصمود والمقاومة في بيئة أحادية لا تقبل الثنائيات ألا وهي الصحراء الكبرى الذي اخترنا منها إقليم الأهقار كعينة للدراسة.

### 1. قبيلة التوارق الجزائرية في إقليم الأهقار:

كان التوارق يسمون أنفسهم " إموهاغ" وبعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا واتصالهم بالعرب، أخذوا يسمونهم باسم آخر وهو الطوارق- التوارق- التوارك، وهذا هو الاسم الذي أطلقه العرب على الشعب الذي يقطن بين شمال إفريقيا وجنوبها، في أكبر صحراء على وجه الأرض. يرى ابن خلدون أن سبب تسميتهم التوارق بأنهم تركوا دينهم المسيحية معتنقين الإسلام، وأنّ صنهاجة هم المثلثون القاطنون بالصحراء الجنوبية، واتخذوا اللثام شعارا لهم. (أماهين، 2007، صفحة 30)

#### 1.1. إقليم الأهقار:

ينقسم سكان الأهقار من التوارق إلى طبقات من الأحرار قبيلة " أصيله تحييه" والثانية " إيمغاط" ويطلق عامة على العبيد وطبقة " وكيل أولي" التي تفيد بلغة تاماهاغ رعاة المعز وهناك طبقة متوسطة بين الأحرار والإيمغاط هي قبيلة "إيساك كامارين" تنسب إلى قبيلة هقار، أما حدود هذا الإقليم؛ من الجهة الشرقية وادي أغرغو يشكل حدا طبيعيا بين أهقار وأزجر من الجهة الشرقية، أما من الجهة الغربية فإنه يمكن القول بأنه محدد بنهاية هضاب أهنت غربا وذلك إلى الشرق قدوما من الطريق الرابطة بلدة رقان بواحة تيلت بإقليم آضاغ، ومن الشمال فإنه يضمّ صحراء تادمايت، ومن الجنوب الغربي يمكن تحديده بمعالم طبيعية بارزة وهي منطقة جبال آضاغ والتي أطلق عليها الفرنسيون اسم أدراران فوغاس وذلك إلى الشرق من بير بوغه، وأما عن جنوبه الشرقي فنهاية أراضيها كانت بالقرب من بئر تين زواتن. (أماهين، 2007، الصفحات 95-96)

## 2.1. نظام الحكم والرئاسة عند التوارق:

الرئاسة حق يثبت عن طريق الأم ولا سبيل آخر يمكن سلوكه للوصول إلى السلطة في المجتمع التوارقي، ومع هذا لا يتولى مهمة الاضطلاع بها ومسؤوليتها غير ذكر ثابت على أن تكون أمه متسلسلة الانحدار من الأمهات والجندات اللاتي أوقف الأوائل عليهن هذا الأمر. (أماهين، 2007، صفحة 122) أما نظام الحكم فكان ديموقراطيا يعتمد على نظام الجماعة وهذا بشهادة الرحالة المستكشفين الأوروبيين.

سعى التوارق مناطقهم بسلطنات يرأس كل واحدة منها سلطان يختارونه من بينهم، والسلطنات سبعة تتشكل من قبائل تقوم مقام الإمارة داخل هذه السلطنة، ويحكم الإمارة شيخ القبيلة.

منصب السلطنة يتولاه السلطان باللغة التارقية (الأمنوكال). منصب شيخ القبيلة أو الأمير (أمغار) ثم منصب الإمام. والأمنوكال ينصب من طرف لا ماني وهو مجلس الأتابالان أي رؤساء المجموعات القبلية، وهو يقوم بالوظائف السياسية والعسكرية، يساعده في ذلك القائد العسكري (أمغار إنغامان) الذي يقوم بتدريب الشباب على الأسلحة المتنوعة وفنون القتال. (القشاش، 1989، صفحة 49)

## 3.1. اللغة التارقية:

(التماشاك) هي اللغة التارقية وحروف هذه اللغة تسمى (التافيناغ) نسبة إلى أصولهم الفينيقيّة الذين جاؤوا من الشام واستوطنوا شمال إفريقيا قبل الميلاد، فهذه اللغة تجعل منهم أحد الشعوب الإفريقية الناذرة التي تملك أبجدية نظيفة يرجع وجودها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وتعتبر هذه اللغة من إحدى اللهجات العربية القديمة التي قضى عليها الإسلام عندما وُحِدَ لغة العرب بلغة قريش التي أنزل بها القرآن الكريم، وهي اللهجة الوحيدة في اللغات الإفريقية التي يوجد بها حرف الضاد سمة اللغة العربية.

## 4.1. اللباس:

كان على الدوام قميص متسع غاية الاتساع، يتخذونه من قميص أبيض وآخر أسود يميل نوعا ما إلى الزرقة يبلغ أكثر من مترين عرضا، أما الطول حسب قامته لابس، ويشمل لباسهم أيضا سروالا أبيض أو أسودا طوله من خاصرة الرجل حتى الكعب من القدم، ويهتمون بشكل أساسي وغريب بلباس

العمامة على الدوام من البلوغ حتى الوفاة، وتشمل العمامة عدة قماش أبيض وآخر أسود ذاب إلى اللون الأزرق ذا صبغة نيلية براقّة شديدة اللمعان، أما اللثام فهو الميسم الذي يوسم به التوارق ومن تجاسر وتركه يعدّ قد كسر قواعد المجتمع التارقي، ويلبس التوارق نعلا واسعا وعريضا يصنع من جلد ماعز جيّد الدباغة مصبغة باللون الأحمر مثبت على قطعة من جلد الجاموس أو جلد البقر، أما النساء فأقمصتهن زرقاء على العموم تغطي المرأة من رأسها إلى ما دون كعبيها لكنها أضيق من أقمصة الرجال، ولباس الأطفال لا يتجاوز عرضه مترا، طوله يصل إلى الكعب، ولا يخاط منه إلا الجيب لأنهم يرون في الثوب المخيط عائقا للنمو السليم للطفل. (أماهين، 2007، صفحة 274)

#### 5.1. مساكن التوارق وطعامهم:

يسكن التوارق خياما مصنوعة من الجلد أو الحصير أو القش وبعضهم يسكن الكهوف، إما الطعام فيأكلون ما يجدونه وغذاؤهم غير معقد وهم صبورون على الجوع والعطش، غداؤهم الأساسي اللحم واللبن ومتى وجدوا هاتين المادتين لا يطلبون سواها. (القشاط، 1989، صفحة 81) يصفهم أحد الباحثين بقوله: "هؤلاء ذئاب الصحراء المتصفون بما يحير العقول من الصبر والتجذّر، يشربون دم الإبل التي يركبونها أثناء السفر الطويل والغزوات، ومنهم من يقطع من شحم الذرّة جزءا يقتات به ليتمكن من مواصلة السير والبقاء على قيد الحياة." (القشاط، 1989، صفحة 80)

#### 6.1. أثاث التوارق:

يتكون أثاث بيت التارقي من قطع قليلة حتى يسهل حملها عند الرحيل، فتجد في خيمته المصنوعة غالبا من الجلد والمرفوعة على بعض الأعمدة تجد بها فراشا من الصوف حسب تسمية كل منطقة يجلب منها ( الزربية، الكليم...) وكذلك حقيبة أو حقيبتين من الجلد تضع فيها المرأة التارقية الدقيق في مزود من الجلد ولوازم الأكل في جلود أخرى أصغر منها.

وكذلك بعض القدور والتي يكون بضعها مصنوعا من الطين، وهاونّا خشبيا أو من نحاس لشرب الماء وعددا من الملاعق بعدد أفراد الأسرة تكون مصنوعة من الخشب وعددا من القرب لجلب الماء وقطعة حديد دائرية الشكل لإعداد الخبز وملعقة كبيرة لسحب المرق من القدور ورحا مصنوعة محليا من الحجر وبعض الأكياس للحبوب. (القشاط، 1989، صفحة 86)

## 7.1. الطبل:

هو عبارة عن قصعة من العود ( الخشب ) كبيرة يربط عليها جلد بعير أو بقرة بحبال متينة، ويثقب ذلك الجلد ثلاثة أو أربعة ثقوب متقاربة دائرية ضيقة لتسمح بالهواء بالخروج عند الضرب على الجلد، ويضرب الطبل بعصا تصنع خصيصا له أو بحبل متين، والطبل هو الوسيلة التي يمرر بها الأمنوكال رسائله للأمراء والعامة، ولما كان للطبل هذه الأهمية فإنهم وضعوا نواميس وقوانين متعارفا عليها يستطيع أبعد في التوارق عن طريق عدد ضرباته وأوقاتها، أن يعرف المقصود من صوت الطبل ويستعدّ للأمر المطلوب.

وأهم الأشياء التي يضرب فيها الطبل هي:

- الأمانى ( التجمع العام )
- اختفاء إحدى القوافل.
- تغيير مكان مخيم الأمنوكال.
- إعلان هجوم غزاة.
- إعلان الحرب.

وكل صنف من هذه الأحداث له شفرة خاصة مقررة من المجلس العام، وتكون كعروفة في جميع السلطنات التي تخصها الشفرة. (القشاش، 1989، صفحة 52)

## 8.1. المرابطون/ المثلثون:

يقول ابن الأثير: وكان ابتداء أمر المثلثين وهم عدّة قبائل ينسبون لحمير، وأشهرها لمتونة ومنها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وجدالة ولطه، وكان أول مسيرهم من اليمن أيام أبي بكر الصديق ﷺ فسيرهم إلى الشام وانتقلوا إلى مصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق إلى طنجة فأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية. (الأثير، 1997، صفحة ج 134/8)

وعن الحركة السياسية التي أسفرت عن دولة المرابطين/ المثلثين، يقول ابن عذاري: " والموجب لخروجهم عن الصحراء إلى وطن المغرب أنّ أحد بني جدالة يعرف بيحيى بن إبراهيم الجدالي كان قد توجه لأداء فريضة الحج واجتاز في إبابه على مدينة القيروان سنة 400هـ فحضر بها مجلس الفقيه أبو عمران الفاسي، فعرض على الفقيه أن يرسل معه أحد طلبته ليصحبه إلى الصحراء حتى

ينتفع به قومه، فلم يجد رغبة من طلبته للذهاب إلى أقصى الصحراء حينها كتب ليحيى كتابا لأحد الفقهاء بالمغرب الأقصى يدعى "واجاج" فحين وصل إليه انتدب معه أحد طلبته المتميزين وهو الفقيه عبد الله بن ياسين " (القشاش، 1989، صفحة 164)

وبعدما تضايقت جدالة من الفقيه عبد ابن ياسين لكثرة إنكاره عليهم قرّر الخروج مع يحيى بن عمر اللمتوني \_الذي خلف يحيى بن إبراهيم الجدالي في إمارة الملمثمين بعد وفاته\_ ونفر ممن تبعوا دعوته الاصلاحية إلى أرض بالسنگال الحالية وربطوا بها إلى أن عظم شأنهم وكثر سوادهم، فقاموا بالزحف على قبائل البربر بالصحراء فأخضعوها بالقوة، ثم توجهوا إلى قبائل المغرب الأقصى فأخضعوها بالقوة كذلك وأسسوا ما أصبح يعرف في التاريخ بدولة المرابطين وبنوا مدينة مراكش 454هـ

ثم انقسمت دولة المرابطين بين الشمال والجنوب، بين أبي بكر اللمتوني الذي خلف يحيى بن عمر بعد مقتله، وبين ابن تاشفين أميره الذي استخلفه على مراكش وانشق عليه بصمت ودهاء إلا أن القائد الفذ أبو بكر كان أذكى منه وأحلم فرغم القوة المادية والمعنوية التي كان يتمتع بها لم يشأ تمزيق دولة المرابطين الفتية، وأقر التمرد الذي قاده ابن تاشفين في صمت وحكمة بالغة قلّ نظيرها في التاريخ الإسلامي وقال له قولته الشهيرة حين التقيا "إني قد وليتكم هذا الأمر وإني مسؤول عنه فاتق الله في المسلمين واعتقني واعتق نفسك من النار".

فالقسم الشمالي لدولة المرابطين هو الذي عني به المؤرخون وأشبعوه بحثا ودراسة. أما القسم الجنوبي تناساه المؤرخون عن غير قصد وذلك لبعد أخباره وانقطاعها، وهو الذي لا تزال آثار فتوحاته في إفريقيا الغربية ماثلة للعيان من مآذن ومساجد وزوايا في السنغال ومالي وغينيا والنيجر إلى مشارف ساحل العاج، بل إن دولة المرابطين الجنوبية هي التي قضت على امبراطورية غانا في غرب إفريقيا، وقد قتل أبو بكر بن عمر اللمتوني في إحدى تلك المعارك سنة 468هـ. أما القسم الشمالي فنقول عنه باختصار هو الذي أحرّ سقوط الأندلس بقرون بعد وقعة الزلاقة 479هـ التي كانت بقيادة يوسف بن تاشفين وملوك دويلات الطوائف بالأندلس في مواجهة جيوش الممالك الصليبية المتحدة بقيادة ألفونسو أو أذفونش كما يحرفه العرب.

## 2. الحملات الفرنسية على قبيلة التوارق في إقليم الأهقار:

شرعت فرنسا بتوطيد العلاقة بينها وبين قبائل التوارق وخاصة تلك المعاهدة السلمية التي أبرمتها مع زعيم الطوارق الشيخ "إيخنوخ" 26 نوفمبر 1862 والتي عرفت بمعاهدة "غدامس" حيث يلتزم فيها الطرفان بفتح طرق التجارة إلى السودان وإصلاحها وتحديثها وتوفير الحماية والأمن للتجار الفرنسيين، ومنذ هذا التاريخ بدأت الدوائر الحكومية الفرنسية للتخطيط لغزو بلاد الطوارق دون الإفصاح عن النوايا الاستعمارية. (غربي، 2016، صفحة 5)

ومع مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر كثفت فرنسا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء، وبذلت مجهودات لإبعاد أطماع بقية الدول الأوروبية المنافسة لها وخصوصا بريطانيا، هذه الأخيرة أبرمت معها عدة اتفاقيات منها اتفاق 1890 الذي نتج عنه تقسيم القارة الإفريقية، واتفاق 1899 الذي حددت فيه المناطق التي ترغب بها كل من الدولتين خاصة في الصحراء الكبرى، والتي كانت لفرنسا حصة الأسد فيها. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد بعثة رينيه كاييه (R.Caille) في سنة 1824 والذي عاد إلى فرنسا في سبتمبر 1828 حيث كان هذا الشخص أول فرنسي يتوغل في قلب الصحراء ويقدم معلومات هامة عن جغرافيتها ومجتمعها من التوارق، وكانت أول بعثة مكلفة رسميا من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي تمهيدا للاحتلال يقودها الكولونيل فلاتيرز (C.Flatters) وبعد فشل بعثة فلاتيرز في إقليم أزجر توجهت البعثة الثانية صوب منطقة الأهقار أكتوبر 1880، حلت البعثة بتاريخ 12 جانفي 1881 بمنطقة أمقيد وواصلت التقدم إلى أن نصبت معسكرها عند بئر لقرامة وتم الاشتباك بينها وفرقن من التوارق انتهت بمقتل فلاتيرز ومعظم من كان معه، وتقهرت البعثة وتشتتت تحت ضربات توارق الأهقار. (مبارك، 2013، صفحة 2)

ثم كانت بعثة فلامون (Flamand) التي تحركت بتاريخ 28 نوفمبر 1899 باتجاه عين صالح وهدفها احتلال المناطق المتبقية من مناطق التيديكلت والهقار وتمكنت القوة الفرنسية من هزيمة المقاومة الشعبية في عين صالح نظرا لعدم تكافؤ ميزان القوى بين الطرفين خاصة نوعية الأسلحة، وهي مقدمة لاحتلال الهقار حيث أقام لايرين (Lapperine) وتحركت بعدها حملة الضابط كوتنيس (Cotnest) صوب الهقار لاحتلالها حيث قدم القائد الفرنسي على رأس فرقة من المهاري على اختراق مناطق الهقار عنوة من أمقيد إلى إدلس إلى تين تارين وفي تين أين وقعت أبرز المعارك بتاريخ 07 ماي 1902 هزم فيها كيل أهقار وشكلت هذه المعركة منعرجا حاسما في الأحداث ومكنت الفرنسيين من

معلومات جدّ هامة عن مرتفعات الهقار التي لم تعد حصينة في وجه الغزاة الفرنسيين. (مبارك، 2013،  
صفحة 6)

الخطة الفرنسية في الأهقار استندت إلى عاملين اثنين:

الأول: استغلال عامل التأثير المباشر الذي يلعبه سوق توات وتيديكلت على الهقار كونهما  
المصدر التمويني الأول للإقليم، وذلك حين أقامت معسكرها هناك.

الثاني: استغلال النزاع الواقع بين أتسي أق ملال وموسى أق مستان حول من يخلف أهيتاغل أق  
محمد بيسكا ورغم أن موسى كان أقل المرشحين حظا والأولوية كانت لأنسي إلا أن الفرنسيين وعن طريق  
المعلومات الدقيقة من جواسيسهم تدخلوا وحسموا الأمر لموسى ونصبوه أمنوكال. واستغلوا في ذلك  
أيضا رجال الدين والأعيان أمثال الحاج بيلو للدعاية للحكم الفرنسي والدعوة للالتفاف حول موسى  
لخدمة مصالح فرنسا.

كما لا ننسى البعثة التنصيرية التي قادها الراهب شارل دي فوكو (Charles de Foucauld) الذي  
كان مقيما في بني عباس وتوجه سنة 1904 نحو الهقار بطلب من زميله السابق في الجيش الفرنسي  
لابيرين ليساعد في إخضاع التوارق للسيطرة الفرنسية على الإقليم، فكانت الرحلة على مرحلتين الأولى  
سنة 1904 ثم عاد فوكو إلى بني عباس لكنه بعد سنة قرر الرجوع رفقة خادمه بول (Paul) ليرافق  
النقيب دينو (Dino) والمؤرخ غوتي (Gotye) والجيولوجي شودو (Chodo) والكاتب بيار ميل (P. Mille)  
من توات إلى أهقار التي وصلها في 25 جوان 1905 والتقوا بالأمنوكال موسى أق أمستان في مكان اسمه  
أين أزوال حيث سمح بالبقاء في الأهقار، وقد حرص دو فوكو على أن يكون عوننا على الاحتلال بالقوة  
الناعمة فبنى كنيسة في الإقليم وأصبح يمارس من خلالها عدّة أنشطة تصب في تثبيت الغزاة الجدد  
من خلال: (شنونو، 2013-2014، صفحة 55)

- تقديم الهدايا للتوارق لكسب تعاطفهم.
- مساعدة الفقراء والمعوزين بتقديم لهم العلاج والصدقات.
- الاتصال برؤساء القبائل وبناء علاقات جيّدة معهم.
- محاربة بناء المساجد والزوايا.

## 1.2. معركة واد انهاون سنة 1881: (شنونو أ.، 2013-2014، صفحة 82)

تعتبر من المعارك الأولى التي خاضها توارق الهقار ضد الغزو الفرنسي للإقليم والمتمثل في بعثة فلاتزر (Flatzer) جرت هذه المعركة في فيفري 1881 قرب تين ترايين شارك فيها 95 شخصا بحوزتهم 250 جمل و 07 أدلاء بقيادة الضابط فلاتزر. أسفرت هذه المعركة بمقتل قائد الحملة فلاتزر ومعظم من كان معه، ومن نتائجها أنها أخرت التوغل الفرنسي في الهقار لحوالي 20 سنة.

## 2.2. معركة تيت (تين إيسا) 07 ماي 1902:

كانت هذه المعركة حين غادرت فرقة عسكرية فرنسية تمرست عائدة إلى عين صالح، وعندما وصلت واد تيت التقى نحو 300 تارقي مهللين ومكبرين تحت الصيحات الحماسية المتعالية، وشارك في هذه المعركة معظم فئات المجتمع بما فيهم النساء، وقتل في هذه المعركة القائد الفرنسي كونتست (Conteste).

## 3.2. معركة واد تهراق 1916:

في 21 مارس 1916 باغث توارق الأهقار الحملة الفرنسية المرابطة في منطقة جانت التي كان يقودها الضابط لوران لايير (Laurent Lapierre) وكان المحرك لهذه الثورة المجاهد "كاوسن" الذي كان هدفه توحيد المقاومة ابتداء من أزجر إلى أير مروراً بالهقار خصوصاً بعدما تمكن التوارق الليبيين من هزيمة الإيطاليين تحت القيادة السنوسية هنالك، ولتحقيق هذه الغاية قام "كاوسن" بمراسلات الزعيم موسى أق أمستان طالبا منه الانضمام إلى الحلف الدفاعي والتخلي عن ولائه للفرنسيين. ومن نتائج هذه المعركة استشهاد أربعة رجال من التوارق، بالمقابل القضاء على كامل الفرقة الفرنسية بقيادة بيتري (Betre).

## 4.2. معركة إيلامان 05 أفريل 1917:

في مطلع سنة 1917 كانت الصحراء في أوضاع غير مستقرة نتيجة للحرب العالمية الأولى والدعوة السنوسية لجهاد الاحتلال الفرنسي الذي كان مدعوما بشكل أو بآخر من طرف الألمان وتعتبر هذه المعركة امتداداً للمعارك التي كان يقودها أو يشرف عليها المجاهد كاوسن ضد الاحتلال الفرنسي. وكان من نتائجها إبادة فرقة فرنسية بأكملها واستشهاد عشرة من التوارق.

## 5.2. معركة أنيكر 01 جوان 1917:

وقعت المعركة في منطقة أنيكر التابعة لبلدية عين أمقل شمال ولاية تمنراست أين نصب المجاهدون كمينا لقافلة فرنسية قتل من بينها خمسة أفراد، وهذه المنطقة لحدّ اللحظة تعد منطقة محرمة لأنّ السلطات الفرنسية زرعتها ألغاما لا تزال تحصد أرواح الجزائريين وأنعامهم مع تفرّج من قبل الهيئات الحكومية اتجاه تحمّل فرنسا هذه الجرائم تاريخيا ومن تم التعويض عنها.

ف نجد أن التوارق وخاصة في إقليم الأهقار طوال مدّة الحرب العالمية الأولى ظلوا يشنون الغارات وينصبون الكمائن على المحميات والقوافل الفرنسية، لكن بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها وخرجت فرنسا وحلفاؤها منتصرون منها بدأت المقاومة تضعف تدريجيا وخاصة بعدما فتحت المجال للجزائريين في الشمال للعمل السياسي النضالي، وبالتالي ركّزت على إخماد الثورات التارقية في الجنوب بكل ما أوتيت من قوّة، ولعل من العوامل الأخرى التي ساهمت في إجهاد المقاومة الجهادية في المنطقة، توقف الدعم من الدولة العثمانية التي كانت تحتضر بل وكانت رأس حربة على كل معارض لتوجهات حكومة الاتحاد والترقي التي كانت بدورها في يد الحلفاء وعلى رأسهم فرنسا.

كما أن انشقاق الحركة السنوسية المجاهدة بين مناصر للألمان أو الإنجليز أضعفها وأدّى إلى اعتقال المجاهد كوسن ثم شنقه سنة 1919 في تركيا على يد الحكومة التركية في أحداث لا يتسع المقام للتفصيل فيها.

أما الحدث الجلل الذي قضى على فتيل المقاومة من أساسه هو اختيار الشيخ أمود المنفى بالأراضي الليبية تحديدا بمنطقة الغريفة ووفاته بها سنة 1928، وبوفاته طويت صفحة مشرقة من بطولات الشعب الجزائري بالصحراء الكبرى. (غربي، 2016)

## 3. التأملات الفلسفية في سرّ صمود قبيلة التوارق الصحراوية الجزائرية أمام الآلة العسكرية الفرنسية 1881-1920:

تطرّقنا لهذا العنصر والذي يعدّ محورا أساسيا لإشكالات هذه الدراسة، سيكون وفق آلية المشجرات حيث يسهل فيها عرض المادة العلمية بطريقة تنأى عن السرد الجاف، ويتأتّى من خلالها اقتناص الرسالة المراد إبلاغها للقارئ، كل ذلك بلغة فلسفية حوارية يكون فيها الجدل المنتج \_ وليس

العقيم\_ الغاية التي يمكن من خلالها كشف سرّ صمود قبيلة التوارق في إقليم الأهقار اتجاه الاحتلال الفرنسي طيلة تلك المدّة المشار إليها في عنوان الدراسة 1881-1920.

أما تأملاتنا الفلسفية ستنبصّ اتجاه معالم مادية ومعنوية، تمتاز بها قبيلة التوارق كنا قد أشرنا إليها في المادة العلمية المعروضة في العنصرين السابقين، ثم نحاول إبراز فعالية ذلك المعلم \_ كمفهوم وقيمة فلسفية\_ في صمود التوارق طيلة تلك المدّة أمام جحافل الاحتلال الفرنسي، وهو في حقيقة الأمر جدل بين مقومات قبيلة التوارق وبين الحملات الفرنسية التي صدّها أولئك الأبطال.

وسنسرّد فيما يلي أهم المعالم التي سنقوم بدراستها:

- التوارق: التاريخ والجغرافيا
- التوارق: نظام الحكم والرئاسة
- اللغة التارقية
- التوارق: المساكن الأثاث اللباس والطعام
- التوارق: الجمل، الطبل
- التوارق: المثلثون/ المرابطون.

شكل 1

(التوارق) (التاريخ/ الجغرافيا)



المصدر:

الصورة (01) عن اليمين: محمد مروان، من هم الكنعانيون، 5 أغسطس 2019، موقع موضوع: الرابط  
[https://mawdoo3.com/%D9%85%D9%86\\_%D9%87%D9%85\\_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D8%B9%D8%A7%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%86](https://mawdoo3.com/%D9%85%D9%86_%D9%87%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D8%B9%D8%A7%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%86)

الصورة (02) عن الشمال: الرابط: <https://www.flickr.com/photos/roberdan/86186044/sizes/o/>

شكل 2

التوارق (نظام الحكم/ الرئاسة)



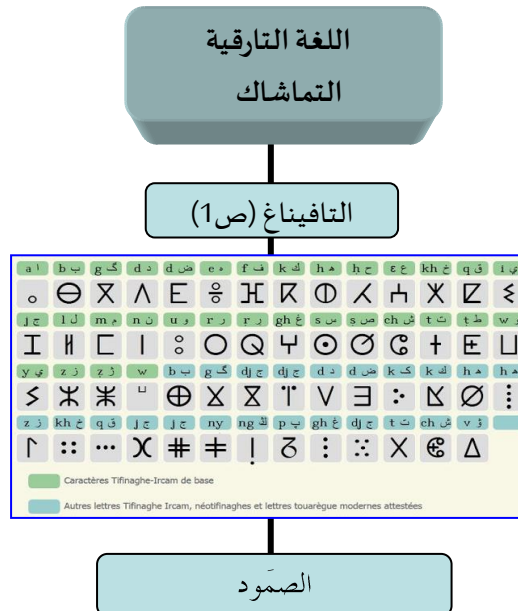
المصدر:

الصورة (01) عن اليمين: محرز مرابط، أصوات مغاربة. الرابط: <https://www.maghrebvoices.com/2017/12/15/10-%D8%A3%D8%B4%D9%8A%D8%A7%D8%A1-%D9%8A%D8%AC%D8%A8-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81%D9%87%D8%A7-%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1>

الصورة (02) عن الشمال: الرابط <https://www.aljazeera.net/culture/2020/8/22/%D9%83%D9%88%D9%86%D9%81%D9%8A%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A8%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9-2>

شكل 3

اللغة التارقية (نظام التماش التافيناغ)



#### أ- قيمة فلسفية لسانية

(التماشاك) هي اللغة التارقية وحروف هذه اللغة تسمى (التافيناغ) نسبة إلى أصولهم الفينيقيّة الذين جاؤوا من الشام واستوطنوا شمال إفريقيا قبل الميلاد، فهذه اللغة تجعل منهم أحد الشعوب الإفريقية النادرة التي تملك أبجدية نظيفة يرجع وجودها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وهذا سرّ آخر وقيمة فلسفية لسانية تجعل من التوارق مجموعة بشرية تمتلك أمنا لغويا يحميها من الاختراق من قبل الغزاة، فاللغة أحد المقومات البشرية التي تمدّ صاحبها بالصمود والثبات

إذا فالامتداد التاريخي للغة التوارق والتي تعد من اللغات السامية جعل التارقي يتنافر لا إراديا مع لغة الغزاة، ممّا صعب من مهمة الحملات التي جوبهت بصدود وصمود في نفس الوقت، وهذا ما لم نجده وقع مع الفاتحين العرب الذين تأقلم معهم التارقي لسانيا، بل وأصبح التارقي من حماة العربية لما نضموه من متون في اللغة العربية وأدبها.

المصدر:

الصورة (01): <https://tamazight.edu.ly/2019/08/22/challenges-typing-tifinagh-ar>

## شكل 4

التوارق (المساكن/الأثاث/اللباس/الشاي، الطعام)



المصدر:

الصورة (01) عن اليمين المسكن: <https://www.el->

massa.com/dz/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/%C2%AB%D8%A5%D9%83%D8%A8%D8%B1%C2%BB-%D9%86%D9%85%D8%B7-

%D9%85%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85-%D9%84%D8%A7-%D9%8A%D8%B2%D8%A7%D9%84-

%D8%B3%D9%83%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%84%D9%8A-

%D9%8A%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D9%88%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87

الصورة (02) عن اليمين الأثاث: <https://www.ootlah.com/ar/blog/tribal-lifestyle-life-tuareg-ar.html>

الصورة (01) في الوسط اللباس: <https://twitter.com/azizalhashi/status/1274339460055011328> <https://twitter.com/azizalhashi/status/1274339>

http://atmzab.net/index.php?option=com\_content&view=article&id=585:ryal-n-latay&catid=64&Itemid=127 الرابط

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%AC%D9%88%D9%8A%D9%84%D8%A7>

شكل 5

التوارق (الجمال / الطبل)



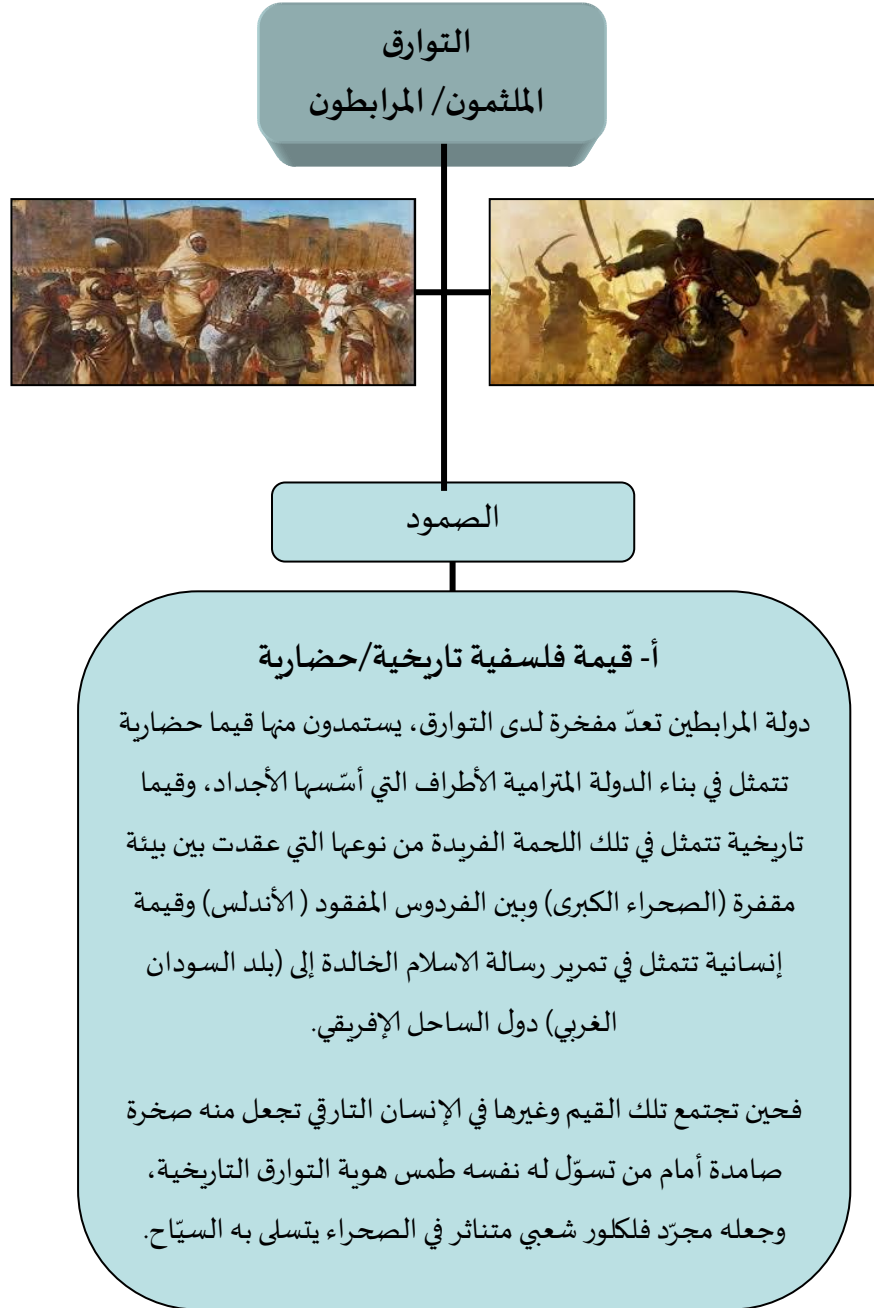
المصدر:

الصورة (01) عن اليمين الرابط: <https://twitter.com/Ay83man83/status/951791573934792709/photo/2>

الصورة (02) عن الشمال الرابط: <https://nastamrassat.wordpress.com/2019/02/11/%D9%86%D8%A7%D8%B3-%D8%AA%D9%85%D9%86%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%AA/>

شكل 6

التوارق (الملثمون/ المرابطون)



المصدر:

الصورة (01) عن اليمين: ليلي حمدان 26 ماي 2023 الرابط: <https://tipyan.com/almoravid-state/>

الصورة (02) عن الشمال: ليلي العاجيب 18 ديسمبر 2020 الرابط:

[https://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE\\_%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9\\_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7%D9%8A%D9%86](https://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7%D9%8A%D9%86)

#### خاتمة:

تلك إذا بعضا من المعالم المعنوية والمادية التي حاولت استنطاق القيم الفلسفية التي تكتنرها، سعيا مني إلى إبراز سرّ صمود ومقاومة التوارق للاحتلال الفرنسي طيلة عقود من الزمن، كما لا يفوتني في هذا المقام الإشارة إلى عوامل أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، ومن تلكم الطريقة السنوسية التي لعبت دورا محوريا في استنهاض الهمم في المنطقة والدعوة إلى نبذ كل وجود أجنبي وذلك بفضل زاويتها في مدينة "جانت"، ضف إلى انتشار أفكار الجامعة الإسلامية التي تسربت إلى المنطقة عن طريق قوافل التجارة والحجاج. وكذلك الدعم الكبير من إيالة ليبيا العثمانية عبر الصحراء الكبرى وخصوصا من شيوخ التوارق "أهتيغال" و"أمود". (غربي، 2016، صفحة 4)

#### نتائج الدراسة:

- الجزائر أصالة ومجد وتاريخ، لما اكتشفناه من حقائق تاريخية ومن قيم فلسفية عن قبيلة التوارق في الجنوب الجزائري.
- المقاومة والجهاد البطولي لقبيلة التوارق في وجه الاحتلال الفرنسي، رغم أن هذا الأخير كان مستفردا ومتفردا للتوارق بعدما قضى على الثورات الشعبية في الشمال.
- المكانة الرمزية للمرأة التارقية في المجتمع، فكانت عبر التاريخ المديد لهذه الأمة محورا للرئاسة، ونواة للأسرة ومفخرة للقادة والفاحين الذين تسمّوا بأسمائهم.
- نقاء وصفاء هوية الجنوب الكبير الجزائري من أدران الاحتلال الفرنسي، نسبيا على الشمال الجزائري نظرا لتأخر دخوله إليه بسبب صمود التوارق أي بعد 1920 فكان الفرق 100 سنة تقريبا من دخوله وسيطرته على الشمال.

#### توصيات:

- ضرورة الاهتمام والاستثمار في المورد البشري في الصحراء الجزائرية لما يحتويه على مؤهلات تاريخية واجتماعية كما لا حظنا مع نموذج الدراسة \_ قبيلة التوارق \_

- نهيب بإطارات ومثقفين أهل الجنوب الجزائري إبراز المكنون الثقافي، والفكري لمجتمع التوارق، الذي يعد بحق مفخرة كل جزائري.
- نهيب بالنخب الأكاديمية للتنمية البشرية أن يستلهموا نوااميس البيئة القبلية التارقية (بشريا، وماديا) لتأصيلها في مخططات التنمية المستدامة.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. الأثير، أ. (1997). *الكامل في التاريخ*. بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي.
2. القشاط، م. س. (1989). *التوارق عبر الصحراء*. القاهرة-مصر: مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء.
3. أماهين، أ. أ. (2007). *الطوارق عبر العصور*. بنغازي-ليبيا: دار الكتب الوطنية.
4. أمهيم، (2021). *العلم نور*. بنغازي: دار الكتاب.
5. شنونو، (2013-2014). *مقاومة التوارق ضد الاستعمار الفرنسي*. أدرار-الجزائر: الجامعة الإفريقية.
6. شنونو، ب. (2013-2014). *مقاومة التوارق ضد الاستعمار الفرنسي في إقليمي أمهقار وأزجر 1920-1981*. أدرار الجزائر: جامعة أدرار.
7. غربي، أ. (2016). *مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية*. 1881 *مجلة كلية العلوم السياسية اسطنبول*، ص 05.
8. مبارك، ك. م. (4، 2013). *النظام السياسي عند التوارق، والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب*. *مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية*، ص. 2.